



المقاربة النفس اجتماعية للمحاولة الانتحارية والانتحار

إعداد

د/حفصة جرادي

أستاذة محاضرة جامعة الأغواط بالجزائر

د/سامية عرعار

أستاذة محاضرة جامعة الأغواط بالجزائر

المقاربة النفس اجتماعية للمحاولة الانتحارية والانتحار

إعداد

د/حفصة جرادي

أستاذ محاضر جامعة الأغواط بالجزائر

د/سامية عرعار

أستاذ محاضر جامعة الأغواط بالجزائر

ملخص

أصبحت المحاولة الانتحارية والانتحار ظاهرة مؤكدة من خلال الدراسات الأكاديمية العلمية المحلية والعالمية المنجزة. فقد اجمع أغلب الدارسين أن الظاهرة في تطور بمرور الزمن وأنها نتيجة لعوامل سوسولوجية ونفسية وتغيرات تمس البنية الاجتماعية والفردية . في هذا المقام تحاول الباحثين رصد المحاولة الانتحارية والانتحار من خلال طرح مفاهيمي، محاولتين دراسة انتشارهما والوقوف على أسبابهما (المحاولة الانتحارية والانتحار) من خلال بعض الدراسات العلمية المنجزة لا سيما في الجزائر. والتي تناولت الظاهرة محل العرض و ابراز بعض المحددات التي جعلت منها ظاهرة قابلة للدراسة.

توطئة:

عرف سلوك الانتحار والمحاولة الانتحارية منذ فجر الإنسانية وقد درست كظاهرة في كل المجتمعات ومن قبل كافة التخصصات الإنسانية ولفرط الاهتمام بفكرة الموت عموماً وظاهرة الانتحار على وجه الخصوص اهتمت بدراسة هذه المسألة علوم وتخصصات عدة منها أصبحت ميدان بحث مشترك بين الانسانيات جميعاً: " الطب والتمريض والصحة العامة والعلوم الاجتماعية والسلوكية وعلى الأخص علم النفس وعلم الاجتماع والقانون فضلاً عن الدين والفلسفة"^(١) وفي كل هذه التناولات يبقى الانتحار هو الشكل الناجح للمحاولة الانتحارية وهو "لغز قائم بحد ذاته لم يوجد له حل حتى الآن" ولغز الانتحار لا يكمن في صعوبة تحديد عوامل ومحددات الانتحار أو قصور التحليل النفسي والاجتماعي في تناول الظاهرة بل ان الأمر يتعلق بحقيقة الدافع أو الدوافع التي جعلت من المنتحر ينحو هذا المنحى نحو قتل نفسه لأن المنتحر حالة غيبها الموت " ان هذا يعني بداية تعريف الانتحار بخصوصية مهما أمكن أن يكون جدواها وأهميتها فسيؤخذ عليها على الأقل أنه ليس من السهل التعرف عليها وملاحظتها كيف لنا أن نعرف الدافع الذي حمل الفاعل على القيام بهذا الفعل وما ان كان يريد الموت بالذات حتى اتخذ قراره أو كان له هدف آخر ؟ ذلك أن النية هي أشد صميمية من أن نتمكن من الوصول إليها ومعرفتها من الخارج اللهم الا عبر تخمينات تقريبية فهي تتوارى حتى عن المراقبة فكم من مرة أخطأنا في معرفة الأسباب الحقيقية التي تحرك أفعالنا فنحن نفسرها دائماً بالانفعالات النبيلة أو الاعتبارات السامية للسلوك التي تلهمنا عواطف مرهفة أو روتينا أعمى اضافة الى ذلك فإن أي فعل من الأفعال لا يمكن بوجه عام تحديده بالغاية التي يسعى اليها الفاعل"^(٢) اذن لا يمكن اجراء أي دراسة مع الحالة في حد ذاتها لكن الدراسة تتم في مجتمع بحث الفاعل فيه غائب وفعله هو الذي يقع تحت محك الدراسة"لا ريب في أنه ليس من الممكن أن نستنبط على هذا النحو جميع الخصائص التي من المحتمل أن يكشف عنها الانتحار لأنه ينبغي أن يكون هناك ما يتعلق منها بالطبيعة الخاصة للشخص المعني ذلك أن كل منتحر لفعله بصمة شخصية تعبر عن مزاجه وعن الظروف الخاصة التي وجد نفسه فيها والتي لا يمكن بالتالي أن توضحها الأسباب الاجتماعية و العامة للظاهرة ولكن هذه الأسباب ينبغي بدورها أن تدمج الانتحارات التي تولدها بدمغة من نوع

(١) أحمد محمد عبد الخالق، قلق الموت، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١١١ مارس ١٩٩٧، ص، ٧.

(٢) اميل دوركايم، الانتحار: ترجمة، حسن عودة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١،

خاص بعلامة خاصة تحدد هذه الانتحارات ذلك أن هذه العلامة المشتركة هي التي يعيننا العثور عليها. من المؤكد فوق ذلك بأن هذه العملية لا يمكن انجازها إلا بدقة تقريبية فنحن عاجزون عن تقديم وصف منهجي لجميع الانتحارات التي يرتكبها الناس يومياً أو التي ارتكبت خلال مجرى التاريخ وليس بوسعنا سوى ابراز الميزات الأكثر عمومية والأشد ادهاشاً دون أن يكون لدينا حتى معيار موضوعي لكي ننجز هذا الاصطفاء وفضلاً عن ذلك فلنربط هذه الميزات بالأسباب الخاصة التي نشأت عنها كما يبدو لا يمكننا المباشرة بذلك إلا بنحو استنتاجي^(١) هذا البعد الاستنتاجي نصل إليه عبر محك الدراسة سواء النفسية أو الاجتماعية ولكل تخصص اتجاه معين يتناول به طبيعة الانتحار فالإتجاه النفسي يتناول المنتحر في حالة انفراديته وانعزاليته بينما الإتجاه الاجتماعي يتناول الظاهرة من خلال الميل الجمعي للانتحار قد " نتصور بأن المسألين متميزتان جدا وقد يكون بينهما مع ذلك صلة ما والواقع أن هناك بالتأكيد بين الشروط الفردية كثيراً منها ليس عاماً بما يكفي لتعيين الصلة بين العدد الاجمالي للمنتحرين وبين السكان من الممكن لهذه الشروط أن تؤثر ربما بحيث ينتحر هذا الفرد المنعزل أو ذاك لا أن يكون لدى المجتمع بمجمله نزوع إلى الانتحار أكثر أو أقل حدة ومثلما أن هذه الشروط لا تتعلق بحالة معينة للبنية الاجتماعية فليس لها ارتدادات اجتماعية وهي بالتالي تهتم عالم النفس وليس عالم الاجتماع فما يبحث عنه هذا الأخير إنما هو الأسباب التي بواسطتها يمكن التأثير ليس على الأفراد منعزلين بل على الجماعة وعليه فإن العوامل التي يظهر تأثيرها على المجتمع بكامله هي وحدها من بين عوامل الانتحار التي تهتم عالم الاجتماع ومعدل الانتحارات هو النتيجة المترتبة على هذه العوامل^(٢) وتبقى ظاهرة الانتحار بين جدلية النفسي والاجتماعي ومختلف المقاربات العلمية الى أنه حقيقة وكما أشرنا إلى مسألة الدافع الحقيقي للانتحار لا يمكن بأي حال من الأحوال التعرف على اللحظة التي قرر فيها الشخص انهاء حياته" ولا يوجد تفسير واحد للسبب وراء وفاة الناس عن طريق الانتحار، غير أن العديد من حالات الانتحار تحدث نتيجة سلوك اندفاعي وفي مثل هذه الظروف تكون سهولة الحصول على وسائل الانتحار عاملاً مؤثراً فيما إذا كان الشخص المقدم على الانتحار سيموت أم سيكتب له النجاة. ويمكن للعوامل الاجتماعية والنفسية والثقافية وغيرها من العوامل أن تتفاعل معاً على نحو يؤدي بالشخص إلى السلوك

(١) نفس المرجع، ص، ٣٥٦.

(٢) نفس المرجع، ص، ٢٢.

الانتحاري، إلى أن الوصم المرتبط بالاضطرابات النفسية والانتحار تعني أن العديد من الناس يشعرون بعدم القدرة على طلب المساعدة. وعلى الرغم من الأدلة المتاحة على إمكانية تجنب العديد من الوفيات، إلا أن قضية الانتحار تظل أهميتها في كثير من الأحيان لدى الحكومات وواضعي السياسات^(١). لكن عدم الاكتراث الرسمي يقابله بؤس ومعاناة على الصعيد الإنساني "فكل حالة انتحار تعتبر مأساة. وتشير التقديرات إلى أن ما يزيد عن ٨٠٠٠٠٠٠ نسمة يموتون عن طريق الانتحار، وأن هناك محاولات انتحار كثيرة مقابل كل حالة وفاة. ويكون الأثر الواقع على الأسر والأصدقاء والمجتمعات أثراً مدمراً وبعيد المدى، حتى وإن مر وقت طويل على انتحار أشخاص أعزاء عليهم"^(٢) و"مما لا شك فيه أن الانتحار ليس ممكناً إلا إذا كانت بنية الأفراد تتقبله ولا تتأباه غير أن الحالة الفردية التي هي أكثر ملائمة له لا تتكون من ميل محدود وتلقائي (ما عدا في حالة المضطربين عقلياً) بل من استعداد عام ومبهم وقابل لأن يتخذ أشكالاً متعددة تبعاً للظروف التي تسمح بالانتحار ولكنه لا يستتبعه بالضرورة ولا يعطي له تفسيراً"^(٣).

١- تحديد مفهومي الانتحار والمحاولة الانتحارية:

"يستخدم تعبير محاولة الانتحار ليعني أي سلوك انتحاري غير قاتل، ويشير إلى تناول الشخص للسّم عمداً أو الإصابة أو إيذاء النفس الذي قد يكون أو لا يكون له نية أو نتيجة قاتلة. من الضروري أن نعترف بالآثار والتعقيدات المترتبة على إدراج إيذاء النفس في تعريف «محاولة الانتحار». وهذا يعني أن إيذاء النفس غير المميت دون قصد الانتحار يندرج تحت هذا المصطلح، وهذه مسألة إشكالية بسبب التنوعات الممكنة في التداخلات ذات العلاقة. مع ذلك، يصعب تقييم نية الانتحار حيث أنها قد تكون محاطة بالتناقض أو حتى الاخفاء. علاوة على ذلك، فإن الوفيات الناجمة عن إيذاء النفس دون قصد الانتحار، أو محاولات الانتحار بقصد الانتحار في بادئ الأمر وحيث لم يعد الشخص راغباً في الموت إلا أنه أصبح على وشك النهاية، قد يتم تضمينها في البيانات حول الوفيات الناجمة عن الانتحار. التمييز بين الاثنين أمر صعب، لذلك فمن غير الممكن التأكد من نسب الحالات التي تعزى إلى إيذاء النفس بقصد أو دون قصد الانتحار. يشير السلوك الانتحاري إلى مجموعة من

(١) منظمة الصحة العالمية، الوقاية من الانتحار: ضرورة عالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ٢٠١٤، ص، ٧.

(٢) نفس المرجع، ص، ٢.

(٣) إميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص، ٩٥.

السلوكيات التي تشمل التفكير في الانتحار (أو التصور)، والتخطيط للانتحار، ومحاولة الانتحار والانتحار في حد ذاته. إن إدراج التصور في السلوك الانتحاري هو قضية معقدة يدور حولها الحوار الأكاديمي الجاد المستمر^(١)

أما الانتحار فيعرف على أنه "فعل إعطاء الموت للذات". وإذا أدخلنا نوع من الدقة لهذا التعريف الكلاسيكي فيصبح تعريف الانتحار على الشكل التالي "هو فعل عدواني ذاتي، إرادي يؤدي إلى الموت". عندما ينفذ الانتحار يحدث كارثة وشعور بالذنب للمحيطين بالمنتحر، ويبقى الندم حليفهم طيلة حياتهم، لأنهم يعتقدون ربما أنهم لم يفعلوا ما يجب فعله، كي يتجنبوا هذا الحدث المؤلم الدرامي^(٢). فالانتحار مهما كانت أسبابه ودوافعه وطبيعته بالوقوف على التصنيف الدوركي لأشكال الانتحار سواء كان الانتحار أناني أو فوضوي لا معياري أو غيري فالانتحار هو فعل وسلوك يفضي إلى الموت حتما . إذن فالانتحار مفهوم يقع على كل حالة موت ناتجة بسبب فعل قام به الميت نفسه وهو يدرك تمام الإدراك أن الفعل يؤدي به إلى الوفاة.

أما المحاولة الانتحارية فيعرفها شنايدر schneider أنها انتحار فاشل إن لم يؤدي إلى الموت، وهذا مهما كان سبب الفشل سواء عن طريق تدخل شخص آخر أو علاج ناجح. ويعرف بيك المحاولة الانتحارية على أنها تعبير نهائي عن الرغبة في الهروب، فالمكتئب يرى مستقبله مملوءاً بالألم والشقاء ولا يجد أي طريق لتخفيف عذابه، ولا يعتقد أن حاله سوف يتحسن، وبناءً على هذه المقدمات يظهر أن الانتحار خطوة منطقية له، ولا يعتبر المكتئب الانتحار نهاية لبؤسه، بل يرى فيه أنه سوف يرفع عن أسرته عبئاً ثقيلاً^(٣).

"وهكذا نخلص إلى القول تحديداً لنسمي انتحاراً كل حالة موت تنجم بنحو مباشر أو غير مباشر عن فعل إيجابي أو سلبي تنفذه الضحية ذاتها والتي كانت تعلم بالنتيجة المترتبة على فعلها بالضرورة فمحاولة الانتحار هي الفعل المحدد على هذا النحو ولكنه المقرر قبل أن يصبح الموت عاقبة له"^(٤) وأن المحاولة الانتحارية والانتحار في حالة تواتر وتلازم فكلاً

(١) منظمة الصحة العالمية، نفس المرجع السابق، ص، ١٠.

(2) BENSMAIL B. et al. «Suicides et conduites suicidaires en milieu maghrébin», in **Revue de l'information psychiatrique**, vol.66, décembre, Privat, 1990..p.990

(٣) آرون بيك، العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية، ترجمة: مصطفى عادل، دار النهضة العربية، بيروت. ٢٠٠٠، ص. ١٣٦.

(٤) إميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص، ١٠.

كان الانتحار موجودا في بيئة اجتماعية ما يكون معدل المحاولة الانتحارية نفسه ومنتاسب مع معدل الانتحار وقد أشار دوركايم الى هذه الخاصية بالقول " حيثما يكون هناك الكثير من الانتحارات يكون هناك أيضا الكثير من محاولات الانتحار مثلما أن الوفيات لا يمكن أن تزداد من دون أن تزايد الحالة المرضية (نسبة انتشار المرض) في الوقت ذاته"^(١)

٢- معطيات وبائية عن الانتحار والمحاولة الانتحارية:

" لقد زادت المعرفة بالسلوك الانتحاري في العقود الأخيرة إلى حد كبير. وأثبتت البحوث، على سبيل المثال، أهمية التفاعل بين العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية والبيئية والثقافية في تحديد السلوكيات الانتحارية. وفي الوقت نفسه، ساعدت الوبائيات في تحديد عوامل الخطر والحماية التي تؤثر على ظاهرة الانتحار بين عموم السكان والفئات الأضعف على حد سواء. وأصبح التباين الثقافي في خطورة الانتحار واضحا أيضاً، مع وجود دور للثقافة سواء في زيادة خطورة السلوك الانتحاري أو في الحماية منه. وفيما يتعلق بالسياسات، فمن المعروف أن ٢٨ بلداً اليوم لديها استراتيجيات وطنية للوقاية من الانتحار، في حين تحتفل جميع بلدان العالم باليوم العالمي لمنع الانتحار، والذي تنظمه الرابطة الدولية لمنع الانتحار، في ١٠ سبتمبر/أيلول من كل عام. بالإضافة إلى ذلك، أقيم العديد من الوحدات البحثية المعنية بظاهرة الانتحار وهناك دورات أكاديمية تركز على الانتحار وسبل الوقاية منه. ولتوفير المساعدة العملية، تمت الإستعانة بالمهنيين الصحيين غير المتخصصين لتحسين تقييم ومعالجة السلوكيات الانتحارية، وأنشئت جماعات المساعدة الذاتية من المفجوعين في العديد من الأماكن، ويساعد أفراد متطوعون مدربين على تقديم المشورة عبر الانترنت والهاتف. وفي منتصف القرن الماضي، قام العديد من البلدان بإلغاء تجريم الانتحار، مما سهل كثيراً على ذوي السلوكيات الانتحارية أن يطلبوا المساعدة."^(٢) وعليه نتناول في هذا العنصر بعض الدراسات التي شملت جهودها رصد المعطيات الوبائية عن ظاهرة الانتحار والمحاولة الانتحارية في مناطق مختلفة وعبر أزمنة متباينة درست ظاهرة الانتحار على مستوى العالم، فوجد أن نسب الانتحار والمحاولات الانتحارية في تزايد مستمر عبر الزمن، ، وأكد هذه الظاهرة كل من مارو marow (١٩٧٥)، دافيسون davison (١٩٨١)، بيك beck (١٩٨٥)، كوفاكس kofax (١٩٩١)، يحيياوي yahyaoui (١٩٩٦)، لادام ladame (١٩٩٨)، شابرول chabrol (١٩٩٨).

(١) نفس المرجع، ص، ٣٥٣.

(٢) منظمة الصحة العالمية، نفس المرجع السابق، ص، ٨.

وقد تأكد الباحثون في تخصصات متنوعة (الطب الاجتماعي الطب النفسي، المختصين في علم النفس الاجتماعي) من انتشار الانتحار والمحاولة الانتحارية عن طريق الدراسات الوبائية التي تهدف إلى دراسة الظاهرة عن طريق التوغل في التوزيع الجغرافي للانتحار وتطورها خلال الزمن ضمن عينة محددة وهذا قصد تجنب مختلف العوامل التي تؤدي إلى إثارة السلوك الانتحاري عند الفرد، ويشير بن اسماعيل أنه يمكن ارتكاب بعض الأخطاء في هذا النوع من الدراسات نظرا لوجود الانتحار غير المصرح به وبالتالي الانتحار غير المسجل بسبب العوامل العاطفية والدينية لاسيما في المجتمعات الإسلامية فهناك " حقيقة مفادها أن محاولات الانتحار الفاشلة يصعب رصدها بدقة كما أن حالات الانتحار المسجلة أقل من تلك التي تحدث على أرض الواقع ويعود ذلك الى حساسية اجتماعية تجعل الأهل يرفضون ارسال المنتحر الى الطب الشرعي كما أن الجهات المعنية تفضل إحالة الوفاة الى سبب غير محدد من دون عرضها على الطب الشرعي مما يجعل الاحصاءات المذكورة غير دقيقة بما فيه الكفاية"^(١)

وهكذا أصبح الانتحار والمحاولة الانتحارية مشكلا دائما، بإجماع العديد من التخصصات في الطب النفسي والاجتماعي وعلم النفس الاجتماعي مظهر علم جديد يدعى "علم الانتحار" يعمل على البحث في أسباب الانتحار ومحاولة الحد والوقاية من المحاولات الانتحارية، والانتحار عن طريق الدراسات الوبائية التي سمحت باستخراج ملمح للانتحار وحسب استنجل estingel فإن الانتحار: يرتبط إيجابيا مع الجنس الذكري، السن، الطلاق، الترمل، غياب الأطفال، العيش في منطقة ذات كثافة سكانية، أزمة اقتصادية، تعاطي الكحول، الأمراض الجسمية، مرض نفسي وبالأخص الاكتئاب هذا الأخير الذي " يعتبر من أهم العوامل المرتبطة بالانتحار حيث يعد من أكثر التشخيصات النفسية التي لها علاقة قوية بالانتحار لأن الفرد المكتئب شخص يهجر الحياة ويفرضها ولا يجد أية لذة لها وبالتالي يرفض وجوده وينبذه مما يدفع به إلى الانتحار"^(٢)

ويرتبط سلبيا مع الجنس الأنثوي، قلة الكثافة السكانية، التدخين، العمل في الريف، الزواج، مع أطفال كثيرين، مستوى ثقافي اقتصادي منخفض، الحرب^(٣) ويتعزز هذا الطرح

(١) ياسر ثابت، شهقة اليائسين - الانتحار في العالم العربي - دار التنوير، القاهرة، ٢٠١٢، ص، ٥٨.

(٢) نفس المرجع، ص، ١٨.

(3) Bensmail.op.cit.p.991،

مع ما جاء به دور كايم في دراسته لظاهرة الانتحار حيث يرى أن معدل الانتحار لا يزداد بسبب أزمة اقتصادية بحد ذاتها بل يرجع سبب الارتفاع للتغيرات المفاجئة و التي ألحقت خلا و عدم توازن في النظم التي كان يسير عليها وينتظم وفقها المجتمع ذلك أنه " حينما يضطرب المجتمع سواء بفعل أزمة كارثية أو بفعل تغيرات سعيدة ولكنها مفاجئة جدا فإنه يغدو مؤقتا عاجزا عن ممارسة هذا التأثير ومن هنا تتبع تلك الارتفاعات المفاجئة في المنحنى البياني للانتحارات"⁽¹⁾.

٢-١ انتشار الانتحار في أمريكا :

بلغت سنة ١٩٣٢م نسبة الوفيات في أمريكا لكل ١٠٠ ألف نسمة من السكان ١٧,٤% وتمثل هذه النسبة جميع الأعمار والفروق من الجنسين .حيث كان الانتحار في المرحلة الأخيرة من مرض الاكتئاب ارتفعت نسبة الانتحار في أواخر الستينات إلى أن وصلت في الثمانينات بل تجاوزت ٢٠٠% من فئات الأعمار ١٥-٢٤ سنة وقد بين كل من ويلين wililin (١٩٧٣) و فريدريك frederick (١٩٧٨) أن الأفراد في أي سن كانوا أو جنس أو عرق أو طبقة اجتماعية واقتصادية معرضون لخطر الانتحار، عندما تشتد بهم الأزمات وتستنفذ طاقتهم فلا يستطيعون تحمل الضغوط .

٢-٢ انتشار الانتحار في أوروبا :

يؤكد الطبيب النفسي الفرنسي فانسون دودان (Vincent dodin) (١٩٩٦) أن الانتحار يمثل السبب الثاني للوفيات عند المراهقين بعد حوادث المرور كل عام ما بين ٤٠ ألف إلى ١٠٠ ألف حالة ما بين ١٥-٢٤ سنة تحاول أن تعطي لنفسها الموت^(٢). ويشير لادام ladam أن محاولة الانتحار مرتبطة بألم كبير ومسبوبة دائما بانفصال وفراق (مشاجرة مع الوالدين ،جماعة الرفاق) ،كما يوضح قزافي xavier أن الانتحار يزداد باستمرار عند فئة العمر أقل من ٢٥ سنة ويشير إلى أن في فرنسا هناك ١٠٠٠ حالة وفاة معلنة بالانتحار كل عام، ويقدر المحاولة الانتحارية من هذا العدد بـ ٤٠ مرة، ونجد ٧٥% من المنتحرين ذوي جنس ذكري، فيما يخص وسائل الانتحار، ففي فرنسا ١٠/٧ من

(١) إميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص، ٣١٨-٣١٩.

(2) Andries et al" .suicide et conduite à risque" in revue pratique de **psychologie de la vie sociale et d'hygiène mentale n.1, 42e année** Fédération des associations d'aide à la santé mentale, **France 1996.p.27** .

المنتحرين يستعملون سلاح ناري لقتل أنفسهم، و ٩٠% يستعملون الأدوية، ويزداد الخطر بعد كل سنة .

وتقدر نسبة الوفيات بالانتحار بفرنسا ٣٠% بالنسبة للأفراد الذين يفوق سنهم ٥٠ سنة^(١) بلغت نسبة الانتحار بالمجر سنة ١٩٦٩ ٣٣,٦ لكل ١٠٠٠ ألف نسمة أما بالنسبة لإيرلندا فبلغت ٨,١ لكل ١٠٠ ألف نسمة^(٢).

٤. انتشار الانتحار في المنطقة المغاربية :

قبل التطرق إلى توضيح انتشار الانتحار والمحاولة الانتحارية في الوسط المغاربي من الضروري توضيح الإطار السوسيو ثقافي لهذا الوسط

٤-١-٤ وضعية الدين :

ان تأثير البعد الديني الروحاني للإسلام في تصور الموت بشكل عام يعطي قداسة للحياة كما للموت فالنفس أمانة ليس للإنسان حق التصرف فيها وبهذا يصبح رأي الإسلام في الانتحار واضحا جدا حيث المسلم يتمتع بخضوع لله وحده، و قتل النفس معناها عدم طاعة الله، ورفض الخضوع لطاعته وأوامره، والقانون القرآني يحرم كل فعل أو عمل يمكن أن يؤدي بالفرد إلى الضرر والهلاك. وتجدر الإشارة إلى أن الدين الإسلامي لا يحرم السلوك الانتحاري الذي يقوم به "المجنون" لأنه ليس حرا، وغير قادر على التمييز، ولا يستطيع أن يحاسب كمسئول ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم -"رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، عن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل"^(٣). ان حالة التدين التي تتميز بها المجتمعات العربية والمغربية بشكل خاص لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال ذلك أن موقع الدين في الضمير الجمعي يحتل مكانة هامة لا يعاد فيها النظر و هو بذلك يخترق ويحدد مستويات الوعي الاجتماعي وقد بين دوركايم في دراسته للانتحار أن الدين لا يمكن تأثيره في كونه يحرم الانتحار مثل ما يتواتر عليه الخطاب الشائع وما يحمله الأفراد من تصورات الحس المشترك والتناول المعياري من خلال فهم النصوص فإذا التزمنا بمسألة الحلال والحرام و التجريم الديني لفعل الانتحار لتوقفنا تماما عن تناول الظاهرة وتصبح بذلك أحكامنا القيمية هي المبرر لإحجامنا عنها كظاهرة اجتماعية ونفسية استوفت الشروط

(1) Bensmail op.cit.p.994

(2) Ibid.p.991

(٣) أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، الطبعة الخامسة، مطبعة الفن الجغرافيك، باتنة، الجزائر، ١٩٨٣، ص.٢١٩.

الموضوعية لدراستها والتحقق منها بل أن قوة الخطاب الديني تكمن في القهر الذي يمارسه المجتمع على أفرادها من خلال تصدر الدين للمستويات التجريدية وضروب السلوك " فلا يعزى التأثير النافع للدين اذن الى الطبيعة الخاصة للتصورات الدينية فإذا ما حمى الدين الانسان من رغبته بالانتحار فليس لأنه يوصيه باحترام شخصه مقدما له براهين خاصة بل لأن الدين هو مجتمع وما يكون هذا المجتمع هو وجود عدد معين من المعتقدات ومن الممارسات العامة المشتركة الماثورة وبالتالي الإلزامية بين جميع المؤمنين وكلما كانت هذه الحالات الجمعية أكثر عددا وقوة كلما كانت الجماعة الدينية مندمجة بقوة أكبر أما تفاصيل العقائد والشعائر فهي ثانوية فالجوهرى أن يكون من شأنها أن تغذي حياة جماعية قوية ومتينة بنحو كاف"⁽¹⁾

ولهذا يقل الانتحار في المجتمع المغربي التقليدي وهذا يفسر بالدين الإسلامي الذي يعتبر لبنة المجتمع و بنيانه حيث يجب الخضوع الى الله وتقبل المكتوب والذي يعبر عنه "بالصبر"⁽²⁾.

٤-٣. المجتمع التقليدي:

يرتكز المجتمع المغربي على ركيزتين أساسيتين: الإسلام والتنظيم الاجتماعي العشائري، الممثل بالعائلة الممتدة والأبوية المسيرة من طرف اكبر شخص وتخضع للتكافل الاجتماعي ومهياة للحياة داخل النسق الجماعي" ولكن حين نقول بأن جماعة تعيش حياة مشتركة أقل من جماعة أخرى فهذا يعني أنها أقل اندماجا أيضا لأن حالة الاندماج التي تتمتع بها مجموعة اجتماعية لا بد لها أن تعكس كثافة الحياة المشتركة التي تنتشر فيها وهي تكون أكثر توحدًا وأشد تماسكا كلما كانت الصلات بين أعضائها أكثر حيوية وأعظم استمرار والخلصة التي توصلنا اليها يمكن اكمالها اذن على النحو التالي مثلما تمثل العائلة واقيا حصينا من الانتحار فإنها تقي منه كلما كانت أصلب تكويننا"⁽³⁾ إن النظام السوسيو عائلي الذي يسمح بإعطاء كل فرد من المجتمع دورا محددًا وواضحا ينعكس عليه بالأمان ويسمح له بالاندماج الإجماعي السهل، عندما يكون الأنا الفردي في وضعية صعوبة يسند بالأنا الجماعي وهذه نتيجة استخلصها دوركايم حيث " سنقول اذن أن المجتمع العائلي مثله مثل

(١) إميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص، ١٩٦.

(2) Bensmail op.cit.p.991

(٣) إميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص، ٢٤٤.

المجتمع الديني يقي من الانتحار^(١) اذن هاتين الخاصيتين تلتقيان بإمتهان في المجتمع العربي والمغربي تحديدا اللحمة العائلية وحضور المعتقد الديني في الضمير الجمعي لكن هذه الخصائص وان أعطت مؤشرا عن قلة سلوك الانتحار فهي قطعا لا تنفي تواجده لأن الاحصائيات والدراسات التي تناولت ظاهرة الانتحار لم تستثني المجتمعات التي يقوم نظامها على معايير المجتمع التقليدي غير أن حالة التوحد والاندماج والتكاتف من أجل الصالح العام التي تتميز بها الجماعة البشرية لا يجب أن تتعدى حدودها لتصل الى حالة الافراط بحيث تلغى مساحة الحرية الشخصية وتندثر فيها المبادرة الفردانية فهذه الحالة تصبح محفزة للانتحار" فالتقاليدية ذلك الخصم اللدود للروح الفردية... وبما أنها أي (التقاليدية) تقي من الانتحار الأناني فنحن ندرك بسهولة بأنها حيث تكون ما تزال قوية فإن السكان المدنيين يرتكبون قليلا من الانتحارات ولكن لا يكون لها ذلك التأثير الواقي إلا اذا ظلت معتدلة فإذا تجاوزت درجة معينة من القوة فستغدو هي بذاتها منبعا أصيلا للانتحارات"^(٢) و ربما يصبح حسب هذ الطرح الدوركايمي معدل الانتحار هو المقياس الذي نقيس به حجم التحولات التي تطال النسيج الاجتماعي في المجتمع العربي والمغربي ونعرف من خلال انخفاض أو ارتفاع نسب الانتحار درجة التماسك و قوة أو ضعف الاندماج في البيئة الاجتماعية العربية التي تعتبر بيئة متماسكة وقوية الترابط على الأقل في مستوى الحس المشترك والخطاب العام .

٤-٣- التغيرات الاجتماعية ومظاهر الثقافة في المجتمع المغربي:

ان الانتقال التاريخي الذي عرفه المجتمع المغربي من حالة الاستعمار الى حالة اللااستعمار لا شك قد سمحت بتغير اجتماعي وتحولات جوهرية خضعت لمنطق الانفصال عن التبعية الكولونيالية والسير نحو حتمية الاستقلال بكل أوجهه المادية والرمزية فعلى سبيل المثال" منذ الاستقلال خضعت الجزائر إلى ظاهرة الثقافة واستمرت باستمرار الزمن، انتشار العائلات النووية، تلاشي قيم التكافل والتضامن العشائري، والتغيرات والتحولات السوسيو إقتصادية والثقافية كالتصنيع، النزوح الريفي، التمدرس الكثيف، كل هذه العوامل قامت على تغير المجتمع التقليدي من مجتمع متكافل ومتضامن إلى مجتمع تسوده التوترات والصراعات على المستوى الفردي العائلي والسوسيو مهني وهذا ما أدى إلى خلق "مرض

(١) نفس المرجع، ص، ٢٣٨.

(٢) نفس المرجع، ص، ٢٩٣.

الانتقال"، ومعروف اليوم أنه ما من مجتمع يتعقد في بناء مؤسساته يرتفع فيه خطر عدم التكيف، وكل هذه الظواهر السيكوسوسولوجية هي من انعكاسات الأزمة الاقتصادية التي تتمثل في الأزمة الخانقة للسكن، البطالة والتهميش، وعدم الاندماج الاجتماعي والأنوميا الاجتماعية، ولربما كل هذه العوامل تتسبب اليوم في انفجار ظاهرة الانتحار بالجزائر لكن رغم كل هذه التحولات تبقى ظاهرة الانتحار والمحاولة الانتحارية بالوسط المغاربي قليلة الانتشار مقارنة بالدول الأوروبية والأمريكية، حيث وصلت المحاولة الانتحارية بالمغرب الأقصى (الدار البيضاء) خلال الفترة الممتدة من ١٩٧٦ إلى ١٩٨١ إلى ٣,٨ في ١٠٠ ألف نسمة. أما الانتحار خلال نفس الفترة فبلغ ٢,٠٩ في ١٠٠ ألف نسمة.

بلغت نسبة الانتشار بتونس فيما يخص المحاولة الانتحارية والانتحار خلال الفترة الممتدة ما بين (١٩٧٧-١٩٨١) على الترتيب ٣١,٥ في ١٠٠ ألف نسمة و ٤,٥ في نفس العدد. بينما بلغت المحاولة الانتحارية بالجزائر (قسنطينة) خلال عام ١٩٨٧، 34.1 في ١٠٠ ألف نسمة وهنا يمكن القول ان طبيعة المجتمع المغاربي القائم أساسا على التلاحم قد تكون عاملا مخفضا لنسب الانتحار ذلك أن " المجتمع ليس فقط شيئا يجتذب اليه بقوة متفاوتة مشاعر ونشاطات الأفراد فهو أيضا سلطة تنظم هذه المشاعر والنشاطات وتضبطها وثمة صلة تربط بين الطريقة التي يمارس فيها المجتمع على نفسه ذلك التأثير المطرد وبين المعدل الاجتماعي للانتحارات"^(٢) ورغم خاصية انخفاض نسب معدل الانتحار في المجتمع المغاربي الا أن هذا لا يقلل من خطورة هذه الظاهرة على الفرد والمجتمع فبلوغ هذه النسب من الانتحار والمحاولة الانتحارية بالمغرب العربي يفرض على المؤسسات المعنية بالصحة النفسية تفكيراً جدياً للتكفل بالأشخاص المحاولين للانتحار وانتهاج سياسة وقائية ضد الانتحار.

ولا يتأتى هذا إلا باكتشاف العلاج الصحيح للاكتئاب ووضع خلايا الإصغاء والمساعدة النفسية بالأماكن التي يكثر فيها الأشخاص مثل الجامعات، الثانويات (...)^(٣). والتزام الحكومات والهيئات الرسمية بدور استباقي وبرنامج عمل للتقليل من الميل الجمعي للانتحار.

(1) Bensmail op.cit.p.992.

(٢) إميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص، ٣٠١.

(3) Bensmail, la psychiatrie aujourd'hui, opu, Alger, 1994, p, 119-120

٥. انتشار الانتحار في الجزائر:

إن ظاهرة الانتحار في تصاعد وانتشار مذهل منذ بداية العام ٢٠٠٠، فهي تأخذ أبعادا خطيرة في ولايات متعددة على سبيل المثال لا الحصر ولاية غليزان، خنشلة، الطارف، تيزي وزوجاية، الوادي، قسنطينة، سيدي بلعباس، سعيدة التي سجلت بها ١٥ حالة انتحار، الجزائر ٨ حالات انتحار و٤ محاولات انتحار، كما سجلت أربع محاولات للانتحار عقب الإعلان عن نتائج البكالوريا في يومرداس، بجاية، وهران، ومحاولتين انتحار في سعيدة حالة انتحار بولاية بسكرة يوم زفافها^(١).

كما تتحدث وسائل الإعلام المكتوبة المتمثلة في الصحف اليومية دائما عن حوادث الانتحار حيث تشير الإحصائيات الصادرة عن مصالح الدرك الوطني على مستوى التراب الوطني أنه منذ بداية السنة الجارية جانفي ٢٠٠٠ إلى ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٠، فإن الانتحار مس معظم ولايات الوطن وبلغ ١١٦ حالة ولا شك أن الاكتئاب بكل أنواعه هو من بين الأسباب الرئيسية التي دفعت هؤلاء الأشخاص إلى وضع حد لحياتهم، هذا الاكتئاب المتمثل في فقدان الأمل واليأس^(٢).

كما أشار عدة باحثون جزائريون مثل بن خلفا (١٩٦٩)، بن سماعيل (١٩٨٧)، الذين اهتموا بظاهرة الانتحار في الجزائر أن التغيير الذي شهده المجتمع الجزائري بعد الاستقلال إلى حد الآن، وما نتج عنه من نزوح ريفي وتمركز سكاني مكثف، والمرور من نظام اجتماعي تقليدي إلى نظام اجتماعي عصري حضري، كذلك عملية التثاقف التي مست المجتمع الجزائري والتي جلبت مظاهر وسلوكيات دخيلة عن المجتمع الجزائري ومن انعكاساتها الصراع بين القيم التقليدية والثقافة الحديثة، كلها عوامل ساهمت في تفاقم ظاهرة الانتحار والمحاولة الانتحارية بالجزائر. وقام الدكتور بلخنشير بدراسة المحاولة الانتحارية في الجزائر، سنة ١٩٨٣ فوجد ٦٠٦ حالة من بينها ٣٨٧ راشد أما سنة ١٩٨٨ فوجد ٧٧٥ حالة محاولة انتحارية من بينها ٤٦١ راشد.

وقام كذلك الباحث بن سماعيل بدراسة المحاولة الانتحارية بالمستشفى الجامعي بقسنطينة، إمتدت الدراسة لثلاث سنوات على التوالي ١٩٧٢-١٩٧٣-١٩٧٤ وكان هذا بمساهمة الباحث الصغير seghir، وشملت الدراسة كل المحاولات الانتحارية التي خضعت

(١) ب. جعفر، جريدة الخبر، ٠٩ جويلية ٢٠٠٠، ص. ٢.

(٢) ع ل / ق م، جريدة الخبر، ١٩ أكتوبر ٢٠٠٠، ص. ٢٤.

إلى فترة استشفائية في مصلحة الإنعاش، كما قام بدراسة سنة ١٩٨٧ على المحاولة الانتحارية الخاضعة للإستشفاء في مصلحة الإنعاش والاستعجالات الطبية، والانتحار المسجل والمحصى من طرف مصلحة الطب الشرعي من خلال عملية التشريح الموصوفة بانتظام من طرف المصالح القضائية .

خلصت نتائج الدراسة على أن هناك إرتفاع في نسبة المحاولات الانتحارية إلى ١٠٠% بعد ١٥ سنة، فمعدل المحاولة الانتحارية في السنوات الثلاثة ١٩٧٢-١٩٧٣-١٩٧٤ يبلغ ٤٠ إحالة، أما سنة ١٩٨٧ فوصل إلى ٢٧٣ حالة. سجل كذلك الانتحار عام ١٩٨٧ لا يمثل إلا ٥,٥% من كل السير الانتحارية سواء كان ناتج قسمة الانتحار /محاولة الانتحار تعادل ١/٨ وهذا يعني حالة واحدة منتحرة على ٨ حالة محاولة الانتحار.

توزيع الحالات كالتالي :

أ - المحاولة الانتحارية:

- ✘ حسب الجنس: إن المحاولة الانتحارية تكون عند المرأة أكبر من الرجل بمرتين.
- ✘ حسب السن: نسبة المحاولة الانتحارية تكون مرتفعة عند الأفراد أقل من ٢٥ سنة، وقد سجلت الدراسة التي امتدت ثلاث سنوات ١٩٧٢-١٩٧٣-١٩٧٤ نسبة ضئيلة قدرت بـ ١,١% بالنسبة للأفراد الذين يفوق سنهم ٥٠، فما فوق أما سنة ١٩٨٧ فكشفت الدراسة أن هناك ٤,٥% من المحاولات الانتحارية تمس نفس الفئة العمرية. أما فيما يخص توزيع المحاولات الانتحارية بدلالة الجنس وفئات العمر تعطينا كما يلي:
- تغيير طفيف في اتجاه الفئات العمرية الحالية: حيث كانت في الأعوام الثلاثة المحاولة تنتشر عند الفئة العمرية ١٥-١٩ أما سنة ١٩٨٧ فكشفت الدراسة أن المحاولة الانتحارية تنتشر عند الفئة العمرية ٢٠-٢٥ سنة .
- هناك نسبة كبيرة من المنتحرين من الجنس الذكري: وهذا حتى سن ٥٠ سنة كما سجلت دراسة بن سماعيل سنة ١٩٨٧ حالتين انتحار عند الأفراد الذين يفوق سنهم ٦٠ سنة، في حين أن الدراسة التي أقيمت في السنوات الثلاثة ٧٢-٧٣-٧٤ لم تسجل أي محاولة تدخل ضمن هذه الفئة العمرية.

كما سجلت الدراسة أن هناك انتشار للمحاولة الانتحارية حسب الشهر، فهناك ارتفاع نسبة المحاولة الانتحارية في شهر أفريل، ماي، وجوان، في شهر رمضان.

أما فيما يخص الطرق المستعملة، فإن ٦٠% من المحاولين للانتحار يستعملون الأدوية، والمواد السامة والكاوية مثل (ماء الجافيل والمبيدات...) إن ١٥,٣% من حالات المحاولة للانتحار كانت تعاني من مرض نفسي خفيف أو عصاب^(١)

ب - توزيع حالات الانتحار الناجحة :

إن توزيع حالات الانتحار الناجحة بالنسبة للفئات العمرية تشير إلى أن الأغلبية هي الفئة التي يتراوح سنها بين ٣٠-٤٠ سنة، بنسبة ٦,٢٥%. أما فيما يخص توزيع الانتحار حسب الجنس فنلاحظ إنعكاس في النسبة بالنسبة للمحاولة الانتحارية، فنسجل رجلين لامرأة واحدة. وعند التطرق إلى الوضعية المدنية للمتحررين، فنجد أن من ضمن ١٦ حالة انتحار يوجد ٩ حالات متزوجة بنسبة ٥٦,٢٥% حالات عازبة بنسبة ٤٣,٧٥%، أما الجانب السوسيو إقتصادي فنجد ٨٧,٥% من المتحررين بدون عمل ويعيشون في وضع اقتصادي منخفض جدا.

إن الأدوات المستعملة للانتحار ٥٠% من المتحررين فضلوا القفز من أعلى الجسور، الطريقة التي تغلب عند الجنس الذكري أما البقية فضلت الشنق.

إن نسبة ٣٧,٥% من الأفراد المتحررين، كانوا قد خضعوا للاستشفاء في مصلحة الطب النفسي للعلاج من أمراض ذهانية في الغالب من نمط السكيزوفرنيا (الفصام)^(٢) هناك كذلك دراسات أخرى أجراها بحثة جزائريون و هيئات مثل دراسة بن خلفاء صغير ١٩٦٣، والمعهد الوطني للصحة العمومية بالجزائر تبين نسب انتشار المحاولة الانتحارية و الانتحار عند الإناث والذكور عبر عدة ولايات كبيرة من الوطن وهذا حسب الجنس، السن، الحالة المدنية، المستوى وبينت هذه الدراسات بوضوح ما يلي :

منذ سنة ١٩٦٣ إلى غاية ١٩٩١، فإن عدد المحاولات الانتحارية في تزايد مستمر وبالأخص عند الإناث، حيث يبلغ معدله امرأتين إلى ٣مقابل رجل واحد، كما أن انتشار المحاولة الانتحارية تزداد عند السن ٣٠ سنة فما أقل، كما تنتشر بصفة أكبر عند الأفراد العازبين من الإناث والذكور. وتعطى عند الأفراد البطالين في الدراسات السابقة بمعدل ٥٩,١٦% كما تنتشر المحاولة الانتحارية عند الأفراد ذوي المستوى الدراسي الثانوي و الجامعي وكذلك تنتشر في الأشهر الثلاثة الآتية أبريل، ماي، جوان. كما بين المعهد الوطني

(1) Bensmail. suicides et conduites...op.cit.p.994

(2) IBID. P.994.995

للصحة العمومية بالجزائر في دراسته للمحاولة الانتحارية والانتحار أن السلوك المحاول للانتحار ينتشر أكثر يوم الأربعاء من التاسعة صباحا إلى ١٢ زوالا عند الفئة العمرية (١٥-٩ سنة) و(٢٥-٢٩ سنة) والجدير بالذكر هنا أن معظم هذه الدراسات أكدت انعدام المحاولة الانتحارية في شهر رمضان الذي هو بمثابة بعد أساسي وجوهري في الدين الإسلامي عند الجزائريين. أغلب الدراسات أكدت سيطرة الأدوية والمواد السامة والكاوية كطرق مفضلة للمحاولة الانتحارية، أما المحاولة الانتحارية الناجحة (الانتحار) فنلاحظ أنها تنشر بنسبة أكبر في الفئة العمرية (٣٠-٤٠) وتكون عند الرجال أكبر من عند النساء رجلين مقابل امرأة، وتشتد عند الأشخاص البطالين ذوي المستوى الاقتصادي المنخفض. كما تزداد عند الأشخاص المتزوجين، وينفذ الانتحار بطرق متعددة حيث خلصت إليها دراسات بن سماعيل ١٩٨٧ والمعهد الوطني للصحة العمومية ١٩٩١، وتتمثل في تفضيل الأدوية والمواد السامة والشنق ورمي النفس من أعالي الجسور وبشكل عام " دائما اذا لم يتدخل عامل مضاد يميل المنتحر الى استخدام وسيلة التدمير التي تكون تحت يده مباشرة والتي جعلها الاستخدام اليومي مألوفة" (١) ص ٣٧

٦- المعادلة الانتحارية وعواملها $the\ suicidal\ equation$:

كما للمعادلة الرياضية أطرافها، فإن للانتحار معادلته المتسببة فيه، فهناك العديد من العوامل التي تحدد السلوك الانتحاري وتعمل على ظهوره وهي:

١,٦ الضغط والتوتر :

إن استمرار الضغط يعمل على تكسير الاتزان الانفعالي لدى الفرد ويثير فيه سلوك باتولوجي، وكما هو معروف فإن للضغط عدة مصادر منها الأحداث الخارجية الصدمية (الوجودية) مثل وفاة قريب أو عزيز، طلاق، فقدان عمل، أو أحداث داخلية مثل فقدان اعتبار الذات، فقدان الاهتمامات في المحيط وفي النشاطات الاجتماعية^(٢) وقد بينت الدراسة التي قامت بها الباحثة غنية عييب في إطار نيل شهادة الماجستير ١٩٩٤ التي كانت تحت عنوان "محاولة الانتحار لدى الإناث وعلاقتها بالعوامل الأسرية والنفسية" وجود علاقة بين المحاولة

(١) إميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص، ٣٧.

(٢) محمد هدي، الطب السلوكي المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩، ص. ١٨٢.

الانتحارية واضطراب المحيط الأسري، وكثرة النزاع والشجار بين الوالدين والأثر السلبي للقسوة في معاملة الشابات^(١).

وأول من قام بالتنظير على مستوى الضغط هو هانز سيلي hanz sely حيث أثبت سنة ١٩٨٠ أن الجسم له قدرة على التكيف المبدئي والتوافق للضغوط، وسميت بطاقة التكيف العام، واستمرار التعرض لهذه الضغوط يؤدي تدريجيا إلى فقدان هذه الطاقة وانهارها، ولقد بين هانز سيلي أن الضغوط والأحداث المرتبطة بالانفصال والخسارة (مادية، اجتماعية، أو إنسانية) هي المسؤولة عن تفجير الاكتئاب المسئول بدوره عن إثارة السلوك الانتحاري في بعض الأحيان عندما تصل حال الاكتئاب إلى اليأس الشديد^(٢)، حيث أن الاضطرابات الوجدانية لها أكبر أثر وهي عامل في إحداث الانتحار عند الرشد^(٣). وان الحالة الوجدانية ليست خاصة أو معيار للانفرادية فالمجتمع أيضا يمكن أن يعيش حالة وجدانية عامة قد تؤدي إلى تفاقم وازدياد المعدل الاجتماعي للانتحار مثل ما توصل إليه اميل دوركايم ونعته بعامل الميل الجمعي للانتحار حيث يقول " فقد أثبتنا في الواقع بأن ثمة ميلا خاصا إلى الانتحار لدى كل جماعة اجتماعية لا تفسر البنية العضوية النفسية للأفراد ولا طبيعة الوسط الفيزيائي وهو ما ينتج عنه استبعاد الأسباب السابقة لذا فإن هذا الميل ينبغي بالضرورة أن يتعلق بأسباب اجتماعية وأن يشكل بحد ذاته ظاهرة جمعية"^(٤)

٦-٢. اضطراب الجانب الإنفعالي :

إن الاضطراب الإنفعالي وخاصة الاكتئاب الذي تكون أعراضه واضحة، يجب أن يتفطن لها المعالج، وتكون بمثابة إنذار لإمكانية إقدام المريض على الانتحار لا يعني هذا أن وجود الاكتئاب يؤدي حتما إلى الانتحار ولكن يرتبط معه ارتباطا قويا، لذلك على الممارس العيادي أن يتفطن للاكتئاب الذي يظهر عن طريق أعراضه المعروفة والتي تتجلى عند الراشد عياديا في الاستيقاظ المبكر جدا، واضطراب النوم وتقطعه، فقدان الرغبة الجنسية،

(١) عيب غنية، محاولة الانتحار لدى الإناث وعلاقتها بالعوامل النفسية و الأسرية، رسالة ماجستير، معهد علم النفس، جامعة الجزائر، ١٩٩٤.

(٢) إبراهيم عبد الستار، الاكتئاب اضطراب العصر الحديث فهمه وأساليب علاجه، دار المعرفة الكويت، ١٩٩٢ ص. ١٢٠.

(3) Alan apter and al ،، suicidal behavior ،dépression and conduct disorders in hospitalized adolescents in academy Child psychol- adol n.6.1998.p.969

(٤) إميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص، ١٥٩.

نقص أو فقدان الشهية نحو الطعام، هذه الأعراض الفيزيولوجية هي انعكاس لطريقة الشخص المكتئب في تقييم المواقف التي يتلقاها وتفسيره وتصوره لذاته، وعالمه ومستقبله، وطبعاً كما أوضحنا هذه الطريقة التفسيرية تكون تحمل اعتقادات خاطئة لاعقلانية تؤدي إلى استمرار الحلقة المفرغة التي يدور فيها المكتئب وتزيد من تشاؤمه ويأسه هذا الأخير الذي يكون خطر يؤدي إلى المحاولة الانتحارية التي قد تنتج في الأخير بالنجاح .

هذا ما أوضحته دراسة عيبب غنية سنة (١٩٩٤-١٩٩٥) في إطار أطروحة نيل شهادة ماجستير أن الشباب المحاولات للانتحار يتميزون ببعض الخصائص الشخصية التي تميز هن عن الشباب غير المحاولات للانتحار كالقلق، الاكتئاب والقلق البدني والمخاوف والوساوس والهيستيريا . كما خلصت الدراسة بوجود علاقة بين المحاولة الانتحارية والاضطراب النفسي المتمثل في الاكتئاب، هذا ما خلصت إليه كذلك دراسة يحيوي ١٩٩٦ في نفس الإطار، لنيل شهادة الماجستير إلى وجود علاقة وطيدة بين فقدان الأمل (اليأس) والمحاولة الانتحارية^(١).

٦-٣. العوامل الاجتماعية للانتحار :

يشير اميل دوركايم Emile Durkheim من خلال الدراسة السوسولوجية المعمقة الأولى التي قام بها حول ظاهرة الانتحار بالتأكيد على الخاصية الاجتماعية للانتحار وتقدم بجملة من الأطروحات والتفسيرات التي تدعم توجهه فيقول " ما دام الانتحار فعلاً يقوم به الفرد ولا يظال أثره سوى الفرد فينبغي كما يبدو أن يكون خاضعاً حصراً لعوامل فردية وأن يكون بالتالي من اختصاص علم النفس وحده ألسنا نفس في الواقع قرار المنتحر غالباً بمزاجه أو بطبعه أو بسوابقه أو بحوادث تاريخه الشخصي ؟ ليس علينا أن نتحرى الآن ضمن أي نطاق وفي ظل أي شرط يكون من المشروع دراسة الانتحارات على هذا النحو ولكن من المؤكد أنه من الممكن النظر الى الانتحارات من جانب آخر مختلف تماماً والواقع أنه لو نظرنا الى مجموع الانتحارات التي حدثت داخل مجتمع محدد وضمن وحدة زمنية محددة بدلاً من النظر إليها كحوادث خاصة معزولة بعضها عن بعض بحيث يحتاج كل منها دراسة على حدة فسنلاحظ بأن المجموع الحاصل على هذا النحو ليس مجرد مجموع لوحداث مستقلة أو لجماعة من النماذج بل انه يشكل بحد ذاته واقعة جديدة من نوع خاص لها وحدتها

(١) حسية يحيوي، المحاولة الانتحارية، دراسة نفسية، رسالة ماجستير، معهد علم النفس، جامعة الجزائر، ١٩٩٥، ص. ٢٠١.

وفرديتها وطبيعتها الخاصة بالتالي وأن طبيعتها هذه فوق ذلك اجتماعية بإمتياز^(١) و من خلال المقاربة السوسولوجية لظاهرة الانتحار توصل دور كايم إلى وجود أنواع للانتحارات حددها كما يلي :

أ- الانتحار الأناني :

خلصت دراسة اميل دوركايم أن البعد الفردي وتواجد الفرد منعزلا عامل هام لحدوث الانتحار، فإذا تناولنا الإيمان أو الاعتقاد الديني، فإننا نجد أن البروتستانت ينتحرون أكثر من الكاثوليك وهذا يعود إلى البعد الفردي الذي يميز حياة البروتستانت وسيادة الفكر الحر وعلى عكس اليهود الذين لا ينتحرون بسبب قوة المعتقد الديني وروح الجماعة والعرق الذي يقوي رباطهم ويعزز اندماجهم، كما نجد أن العزاب ينتحرون أكثر من المتزوجين، و يكثر الانتحار عند المترملين بدون أولاد ويرجع دوركايم السبب الرئيسي للانتحار أساسا إلى غياب الارتباط و تفكك العلاقة الاجتماعية وضعف مستوى الاندماج في المجتمعات الدينية والعائلية وحتى السياسية حيث يقول " لقد توصلنا اذن الى هذه الخلاصة العامة: يتغير الانتحار عكسيا مع درجة اندماج الجماعات الاجتماعية التي يشكل الفرد جزءا منها"^(٢) وقد توصل إلى هذه النتيجة عبر نظام برهنة يجعل كل من المجتمع الديني والمجتمع العائلي و المجتمع السياسي ارتباطات ليس لها تأثير على واقعة الانتحار سواء بالسلب او الايجاب بقدر ما أن تأثيرها يعود إلى كونها تشترك في خاصية الاندماج وقدرة كل متغير على حدة على تقوية هذه الخاصية والحفاظ عليها فيضيف " انه اذا كان لمختلف هذه المجتمعات تأثير ملطف على الانتحار فليس بسبب المزايا الخاصة بكل منها ولكن بمقتضى سبب واحد مشترك فيما بينها فالمعتقدات الدينية لا تدين بفعاليتها للطبيعة الخاصة للمشاعر الدينية ما دامت الجماعات العائلية والجماعات السياسية تحدث نفس الآثار حينما تكون مندمجة بقوة بالاضافة إلى ذلك فإن هذا ما أثبتناه .. حينما درسنا بنحو مباشر الطريقة التي تؤثر بها مختلف العقائد الدينية على الانتحار وعلى العكس من ذلك فليس ما يتميز به الرابطة العائلي أو الرابطة السياسي من خاصية نوعية هو ما يمكنه تفسير المناعة التي يمنحها لأن للمجتمع الديني الامتياز نفسه وهكذا لا يمكن أن نجد سبب ذلك إلا في خاصية واحدة تمتلكها جميع هذه الجماعات الاجتماعية ولو بدرجات متفاوتة ربما والحال فإن ما يفى بهذا الشرط هو أن جميع هذه

(١) اميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص، ١٢-١٣.

(٢) نفس المرجع، ص، ٢٥٤.

الجماعات الاجتماعية مندمجة بقوة^(١) وإذا انفصم هذا الرباط و تخلخت موازين الاندماج الاجتماعي وتلاشت قوته فسيفسح الطريق لما أسماه دوركايم بالانتحار الأناني الذي يتفوق فيه الفرد على نفسه وتصبح معيارية الانعزال قائمة بشدة أمام تدهور القيم الاجتماعية التي تذوب فيها الفردانية وبذلك يصل دور كايم إلى القول ان انفكك الرباط بين الفرد والجماعة هو المحدد للانتحار الأناني فيصف قائلاً " ان الجماعة الاجتماعية لا يمكن أن تتفكك من دون أن يتحلل الفرد ضمن الاطار نفسه من كل روابط الحياة الاجتماعية ومن دون أن تغدو غايته الخاصة مرجحة على الغايات العامة وبكلمة واحدة من دون أن تميل شخصيته إلى أن تضع ذاتها فوق الشخصية الجمعية وهكذا كلما ضعفت الجماعات التي ينتمي إليها أكثر كلما قل ارتباطه بها وتبعيته لها ومن ثم لم يعد يتعلق إلا بذاته كي لا يسلم بأية قواعد سلوك إلا بتلك القواعد التي تخدم منافعه الخاصة فإذا اتفقنا ان على أن نسمي أنانية تلك الحالة التي يؤكد فيها الأنا الفردي ذاته بإسراف شديد في مواجهة الأنا الاجتماعي وعلى حسابه سيكون بإمكاننا أن نطلق اسم أناني على النموذج الخاص للانتحار الذي ينتج عن نزعة فردانية مفرطة"^(٢)

ب - الانتحار الغيري:

وينتشر ضمن المجتمعات البدائية والدينية شديدة التماسك بل والمفرطة فيه، "وهكذا فإن الانتحار بالتأكيد متواتر للغاية لدى الشعوب البدائية ولكنه يظهر سمات خاصة جدا لدى هذه الشعوب فجميع الوقائع التي أتينا على ذكرها تندرج في الواقع في فئة من الفئات الثلاث التالية: ١- انتحار الرجال اللذين بلغوا عتبة الشيخوخة أو أصيبوا بمرض؛ ٢- انتحار النساء بعد موت أزواجهن؛ ٣- انتحار الحاشية أو الخدم لدى موت زعمائهم والواقع أن الانسان اذا انتحر في جميع هذه الحالات فليس لأنه يملك الحق بالانتحار بل لأن الانتحار ... واجب عليه"^(٣) هذا الواجب يتميز بطابعه القهري الالزامي الذي يهدف إلى تحقيق الأغراض الاجتماعية، حيث يتلقى الفرد ضمن هذا المجتمع تأثير وقمع المجتمع له عندما يكون الموت قمة الشرف والوجاهة "فانتظار الموت حسب رأيهم عار يشين الحياة كما أنهم لا يولون أي شرف للأجساد التي تهدمها الشيخوخة فالنار تغدو مدنسة إذا لم تستقبل الرجل وهو ما يزال

(١) نفس المرجع، ص، ٢٥٤.

(٢) نفس المرجع، ص، ٢٥٤.

(٣) نفس المرجع، ص، ٢٦٨.

حيا"^(١). كما أنه من قمة الوفاء أن تنتحر النساء المترملات عقب أزواجهن وهذه الطقوس ما زالت الى يومنا هذا تمارس في المجتمعات الدينية الهندوسية وكما أنه من قمة الولاء أن يقتل الأتباع أنفسهم من أجل زعيمهم وهكذا نستشعر في هذه الحالة أن الخاصية المشتركة هي ذوبان الشخصية الفردية في روح الجماعة "فليس ثمة انتحارات يتجلى طابعها الغيري بوضوح أكبر مما ذكرناه فنحن نرى أن الفرد في كل هذه الحالات يتطلع إلى التجرد من كينونته ليتلاشى في ذلك الشيء الآخر الذي ينظر إليه على أنه جوهره الحقيقي ولا يهم الاسم الذي يسميه به فيه ؛ فيه وحدة يعتقد أنه موجود ولكي يكون له وجود فهو يصبو إلى الامتزاج به بقوة فهو يعتبر نفسه اذن مجردا من كل وجود خاص وهكذا فإن اللاشخصية مدفوعة هنا الى حدها الأقصى والغيرية في حالة بالغلة الحدة"^(٢) وذلك الشيء بطبيعة الحال هو الجماعة التي تغطي بقوتها على ما سواها من فردانيات وتصبح الشخصية مختزلة فيها ولا وجود لها ولا تحظى بأي مكانة إلا اذا أعلنت هذه الشخصية الفردية على انتمائها المطلق لجماعتها و"تعد الشخصية الفردية حينئذ شيئا زهيدا القيمة ذلك لأن هذه الشخصية منذ أن تبدأ بالتشكل فإن حقها بالحياة هو أول الحقوق التي يعترف لها به فهو على الأقل لا يعطل إلا في ظروف استثنائية جدا كالحرب ... لكي يحتل الفرد مكانا يمثل هذه الضالة في الحياة الجمعية ينبغي أن يكون مندمجا كليا بوجه التقريب داخل الجماعة وأن تكون الجماعة بالتالي مندمجة بقوة فائقة ولكي يكون للأفراد بعض الحياة الخاصة لا بد من أن يشكل الكل كتلة مترابطة ومستمرة في الوجود"^(٣) اذن استمتاع الشخصية الفردية بهذه الضالة و الحلولية التي يصبو إليها الفرد من أجل جماعته وفناءه من أجل استمرارها وديمومتها هو الذي يحدد طبيعة الانتحار الغيري " نحن اذن ازاء نموذج من الانتحار متميز ... بسمات فارقة ففي حين أن سبب الانتحار الأناني افراط في الفردانية فإن سبب الانتحار فردانية فطرية ناقصة جدا ينجم الأول عن أن المجتمع المفكك في بعض ركائزه أو حتى بمجموعة يترك الفرد يفلت منه وينجم الآخر عن أن المجتمع يخضعه بقوة لتبعيته فما دمنا أطلقنا تسمية الانتحار الأناني على الحالة التي توجد فيها الأنا عندما تعيش حياتها الشخصية ولا تمتثل الا لذاتها فإن عبارة الانتحار الغيري تعبر تعبيراً قويا عن الحالة المناقضة الحالة التي لا تنتمي فيها الأنا إلى

(١) نفس المرجع، ص، ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) نفس المرجع، ص، ٢٧٦.

(٣) نفس المرجع، ص، ٢٧٠.

ذاتها بل تمتزج بشيء آخر غير ذاتها حيث يقع قطب سلوكها خارج ذاتها أي داخل جماعة من الجماعات تعد جزءا منها لهذا سنسمي انتحارا غيريا ذلك الانتحار الذي ينجم عن غيرية مفرطة ولكن ما دام أنه يبرز بالإضافة الى ذلك هذا الطابع الذي يؤديه كواجب مفروض فمن المهم أن يعبر هذا المصطلح الذي اعتمده عن تلك الخصوصية سنطلق اذن اسم الانتحار الغيري الإلزامي على النموذج المتكون على هذا النحو ان الجمع بين هاتين الصفتين غيري وإلزامي ضروري لتحديده لأن كل انتحار غيري ليس إلزاميا بالضرورة^(١)

ج- الانتحار الأنومي:

إن كل اختلاف في تركيب نظام المجتمع أو فقدان التقاليد يؤثر على المجتمع ويولد حالة أنوميا، حيث تفقد المشاعر كل القيم والمعايير في الوقت الذي يحتاج إليها المجتمع وهذا يستطيع أن يكون سببا في الانتحار. وقد يرجع البعض هذا الاختلال إلى الصدمات والأزمات التي تمر بها المجتمعات كالحروب و الانقلابات والانهيارات الاقتصادية وبشكل عام كل المآسي التي تلحق بالفرد والمجتمع فدوركايم توصل في دراسته الى أن الأزمات ليست هي الداعي للانتحار بل ان نظام الاعتدال الذي كانت تسير عليه تعرض لهزة التحول فالتغيرات التي تحدث قد تسبب البؤس مثلما قد تؤدي الى حالة من الازدهار سواء تكون سلبية أو ايجابية " فإذا كانت الأزمات الصناعية أو المالية اذن تزيد من الانتحار فليس لأنها تسبب الفقر والبؤس ما دامت التغيرات التي تجلب الرخاء تؤدي الى النتيجة نفسها بل لأنها أزمات أي لأنها اضطرابات في النظام الجمعي"^(٢) وعليه إن الانتحار الأنومي الذي يحدث نتيجة اختلال القيم والمعايير مرده الى تراخي قوة الضمير الجمعي وتقهر السلطة الأخلاقية هذه الأخيرة التي تعتبر أساسية للضبط الاجتماعي و عائق أمام انتشار الأهواء والشهوات الفردية اللامحدودة "ينبغي اذن أن تكون الشهوات محدودة وحينئذ فقط يمكنها أن تتلاءم مع الصعوبات ومن ثم أن تلبى ولكن ما دام أنه لا يوجد داخل الفرد ما يستطيع أن يضع لها حدا فينبغي بالضرورة أن يأتي هذا الحد من قوة خارجية عن الفرد لا بد من وجود قوة خارجية ناظمة تقوم بالنسبة الى الحاجات المعنوية بنفس الدور الذي يقوم به الجهاز العضوي بالنسبة الى الحاجات المادية وهذا يعني بأن هذه القوة لا يمكن أن تكون الا قوة أخلاقية انها يقظة الضمير التي تتدخل لكسر حالة التوازن التي يهجع داخلها الحيوان فالضمير وحده اذن من

(١) نفس المرجع، ص، ٢٧١.

(٢) نفس المرجع، ص، ٣٠٩.

يمكنه أن يوفر الوسائل لإعادة هذا التوازن لأن الضعف المادي سيكون هنا دونما أثر والواقع أن القلوب لا يمكن تغييرها بواسطة قوى فيزياء-كيميائية وفي النطاق الذي لا تكبح فيه الشهوات تلقائياً بآليات فيزيولوجية من الصعب أن تتوقف إلا أمام حد تعترف هي بصحته فالناس لا يرضون بتخفيف رغباتهم إذا اعتقدوا بأنه مصرح لهم أن يتجاوزوا الحد الذي عين لهم ولكنهم لا يستطيعون أن يفرضوا على أنفسهم هذا القانون العادل للأسباب التي ذكرناها لذا ينبغي أن يتلقوه من سلطة يحترمونها ويخضعون لها تلقائياً والمجتمع وحده اما بمجموعه وبنحو مباشر أو بواسطة أحد أجهزته قادر على لعب هذا الدور الملطف لأنه يمثل السلطة الأخلاقية الوحيدة التي لها الغلبة على الفرد وحيث أن هذا الفرد يقبل بتفوقه عليه فالمجتمع وحده هو الذي يملك السلطة الضرورية التي تمنح الحق وترسم للشهوات الحد الذي لا يجوز لها أن تتخطاه وهو أيضا الذي يستطيع أن يقدر المكافأة التي ينبغي أن تمنح في المستقبل لكل طبقة من الموظفين اللذين يعملون من أجل المصلحة العامة^(١) فالمحصلة أن الانتحار الأنومي الأنومي هوناشئ عن فوضى واضطرابات وطفرة مفاجئة أخلت بالتوازن الاجتماعي القائم ففي هذا النوع من الانتحارات " تفقد القواعد التقليدية السائدة سلطتها وتتعرز اذن حالة الاضطراب أو الفوضوية بسبب أن الشهوات صارت أقل ضبطا في الوقت الذي تكون فيه بحاجة إلى أقوى نظم الانضباط وأشدّها صرامة"^(٢) " اذن تشكل حالة الفوضى في مجتمعاتنا الحديثة عاملا منتظما ونوعيا من عوامل الانتحارات فهي واحد من منابع التي يتغذى منها القسط السنوي منها نحن اذن أمام نموذج جديد من الانتحارات ينبغي تمييزه عن النماذج الأخرى فهو يختلف عنها في أنه يرتبط ليس بالطريقة التي يتعلق بها الأفراد بالمجتمع وانما بالطريقة التي ينظمهم بها هذا المجتمع ففي حين الانتحار الاناني ينبع من أن هذا المبرر للوجود يقع خارج الحياة ذاتها فإن النوع الثالث من الانتحار الذي لاحظنا وجوده ينشأ من أن نشاطات الناس تضطرب ويختل نظامها وأنهم يعانون من هذا الاختلال أشد المعاناة وبسبب أصله فنحن نطلق على هذا النوع الأخير اسم الانتحار الفوضوي"^(٣) " غير أن الحقل الذي يغيب عنه المجتمع ليس واحدا في كلا الحالتين ففي الانتحار الأناني يغيب المجتمع عن النشاط الجمعي حصرا تاركا اياه مجردا على هذا النحو من الهدف ومن المعنى وفي الانتحار

(١) نفس المرجع، ص، ٣١٤.

(٢) نفس المرجع، ص، ٣٢٠.

(٣) نفس المرجع، ص، ٣٢٧.

الفوضوي يغيب المجتمع عن الأهواء الفردية الجامعة حصرا تاركا اياها على هذا النحو
دونما ضابط يضبطها"^(١)

حسب هذه الأنواع الثلاثة للانتحار نستطيع أن نقول أن هناك أسباب إجتماعية
محضة تدفع إلى الانتحار، وتحديد هذه الأسباب يسمح لنا بوضع تصنيف لأنواع الانتحار
وأشكاله الفردية ويشير دور كايم أن أسباب الانتحار هي أسباب إجتماعية بحتة وهي أسباب
غير نفسية أو بيولوجية وهذا ما يدفعنا إلى القول إذا كانت أسباب الانتحار حسب دوركايم
هي أسباب إجتماعية فإننا نقول أن نتائجه أيضا تكون نفسية ففي كتابه "التربية الأخلاقية"
يوضح أن الفرد إذا لم يتعلق بالمجتمع وإذا لم تتوفر القواعد الأخلاقية التي تنظم أفراد
المجتمع، فسوف تنتاب المجتمع موجة من الأسى والاكتئاب تتعكس واضحة على نسبة
الانتحار^(٢).

وكخلاصة لما ورد نستطيع أن نشير إلى ما جاء في كتاب ماينار (maynard) أن
دراسة دوركايم بينت أن الانتحار يكون نتيجة مباشرة لضعف إندماج الفرد في
جماعته^(٣). وزيادة على هذا فإن هناك عوامل متعددة مسؤولة عن ظهور الانتحار من بينها
صعوبة الحياة الناتجة عن الأزمات الإقتصادية والكبت السياسي والإجتماعي وتفكك الأسر
وضعف الوازع الديني^(٤).

وهذا ما أكدته رئيس الحكومة الجزائري السابق أحمد بن بيتور في مداخلته أمام
البرلمان في شهر جويلية ٢٠٠٠ عندما كانت موجة الانتحار تتزايد يوما بعد يوم في أوساط
الفئات المسرحة عن العمل، وفي أوساط الشباب العاطل، حيث طالب بإجراء دراسة إجتماعية
علمية قصد التوصل إلى تفسير حقيقي لظاهرة الانتحار في الجزائر وهذا بغية التحكم في
الظاهرة وتقديم العلاج اللازم لها خاصة للفئات الأكثر تعرضا لها^(٥).

بعد إستعراض عوامل المعادلة الانتحارية نستنتج أن هناك عوامل تسهم في ظهور
السلوك الانتحاري على العموم، من بينها الأحداث اليومية والضغط والتوترات سواء كانت

(١) نفس المرجع، ص، ٣٢٧.

(٢) إميل دور كايم، التربية الأخلاقية، مكتبة مصر، بدون سنة نشر، ص، ٦٧-٢٦٨.

(3) Maynard. I, le suicide, étude normale et métaphysique, puf. paris.1985.p.12

(٤) يعقوب سعيد حافظ، الاكتئاب دراسة في الإنقباض النفسي، بيروت لبنان، ١٩٨٤، ص.٨٩.

(5) AÏT OUFELIA Mourad, « Benbitour interpellé sur les suicides », in **Liberté**,
n° 2367, 24 juillet 2000.

داخلية نفسية كفقدان إعتبار الذات، فقدان الثقة بالذات أو خارجية مثل خسارة مركز إجتماعي، فقدان العمل، خسارة محبوب أو صديق عزيز أو قريب سواء كان ذلك بالموت أو الفراق .

كما أن الاضطرابات النفسية تساعد على ظهور السلوك الانتحاري والعوامل الإجتماعية السيئة التي يعيشها الفرد في بيئته يمكنها أن تثير بداخله رغبة في الموت . وعلى حسب تعبير آرون بيك beck فإن المحاولة الانتحارية عبارة عن تعبير نهائي عن الرغبة في الهروب، والمكتئب يرى مستقبله مليء بالتعب والمعاناة ولا يجد طريق للتخفيف من آلامه، بما أنه يمتاز بالتشاؤم من المستقبل فإنه لا يعتقد أن سوف يصير إلى الأحسن لذلك يجده خطوة منطقية، لأنه يفترض بانتحاره رفع عن أسرته عبئا ثقيلا فيرى الموت أشهى من الحياة، فينجذب إليها عن طريق الانتحار كذلك فإنه يستعمل فكرة من ضمن أنماطه المعرفية المشوهة تبطن الرغبة الانتحارية، وهي إعتقاده أن الجميع سيكون في حالة أفضل إذا هو مات، إنه يعتبر نفسه عبئا عن أسرته، ومن ثم أسرته لن تتضرر من موته^(١) و"ثمة نتيجة تتجم الآن عن بحثنا هي أنه ليس هناك انتحار واحد وإنما هناك انتحارات ما من شك بأن الانتحار هو على الدوام فعل يقوم به انسان يفضل الموت على الحياة ولكن الأسباب التي تدفعه الى ذلك ليست من طبيعة واحدة في جميع الحالات ... بهذه الطريقة سنتابع تيارات الانتحار من أصولها الاجتماعية حتى تجلياتها الفردية"^٢

الخلاصة:

لا شك أن الاحصائيات و الدراسات التي تناولت الإنتحار جعلت من هذا الفعل ظاهرة لها قبولية في المسعى العلمي فلقد تناولتها كل التخصصات الانسانية والاجتماعية وحاولت البحث في الأسباب الكامنة وراء حدوث الإنتحار أو المحاولة الانتحارية وأوصدت الطريق أمام أي تجريم قانوني وتعزيز ديني للمنتحر وتوخت هذه الدراسات قواعد الروح العلمية والموضوعية لفهم الظاهرة والابتعاد عن الأحكام القيمية لكن ربما في هذا الموقف لن نتبنى طرحا موضوعيا بل تنصدر ذاتيتنا في هذه الخلاصة بعدما تدرجنا في معارف هذا الموضوع من تحديد المفاهيم الى البحوث التي أجريت حوله و التعرف على مختلف المحددات النفس اجتماعية التي تؤدي لهذا الفعل فموقفنا ليس من قبيل المعيارية الأخلاقية

(١) آرون بيك، مرجع سبق ذكره، ص. ١٣٧.

(٢) إميل دور كايم، الانتحار، نفس المرجع السابق، ص. ٣٥٥.

ونبذ السلوك الانتحاري بل هو احساس الشفقة الذي يقف مسائلا الجهات التي يمكن لها أن توقف فعل ايداء النفس وفعل الموت فالمجتمعات لها مسؤولية أخلاقية أمام ظاهرة الانتحار" فإذا ما استسلم الفرد لأقل صدمة من صدمات الظروف المحيطة فلأن الحالة التي يكون فيها المجتمع جعلت منه ضحية جاهزة للانتحار^(١) كما أن للعائلة مسؤولية أخلاقية أيضا اتجاه أعضائها فالمجتمع العائلي الذي لا يعزز معنى الحياة ولا يلتزم بمبدأ الحماية والدعم والمساندة لأفراده من خلال الحب والتواصل ولا يتعهد باعطاء قيم ومعايير التنشئة المتوازنة أكيد سيفسح المجال لفرد غير متعلق بالحياة لا يحترم هذه الحياة ولا يحب وجوده وذاته ولا يشعر بأي انتماء أو اندماج ومن هنا يرى الموت والحياة متشابهان " وعندما يتعود المرء منذ طفولته على أن لا يقيم وزنا للحياة وأن يحتقر أولئك اللذين يتعلقون بها أشد التعلق فمن المحتم أنه سيهدمها لأضعف الحجج ويقرر بكل سهولة الاقدام على تضحية زهيدة التكلفة للغاية"^(٢)

"في مثل هذه الحالة من التزعزع فإن أيسر أسباب التثبيط يمكنها بسهولة أن تقود الى قرارات يائسة فإذا كانت الحياة لا تستحق عناء عيشها فكل شئ يغدو ذريعة للتخلص منها... فهناك مزاج جماعي مثلما أن هناك مزاجا فرديا يدفع الشعوب إلى الكآبة أو إلى البهجة ويجعلهم يرون الأشياء بألوان زاهية أو معتمة"^(٣)

١- نفس المرجع، ص، ٢٦٢.

٢- نفس المرجع، ص، ٢٢٧.

٣- نفس المرجع، ص، ٢٦٠.

المراجع

المراجع باللغة العربية :

١. إبراهيم عبد الستار، الاكتئاب اضطراب العصر الحديث فهمه وأساليب علاجه، دار المعرفة، الكويت ١٩٩٢.
٢. أحمد محمد عبد الخالق (١٩٩٧)، قلق الموت، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١١١ مارس.
٣. آرون بيك (٢٠٠٠)، العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية، ترجمة: مصطفى عادل، بيروت: دار النهضة العربية . .
٤. إيميل دور كايم (د.ت.)، التربية الأخلاقية، ترجمة: بدوي سعيد محمد، مراجعة وافي علي عبد الواحد، مكتبة مصر .
٥. إيميل دور كايم (٢٠١١)، الانتحار، ترجمة: حسن عودة، وزارة الثقافة، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
٦. محمد حمدي الحجار (١٩٨٩)، الطب السلوكي المعاصر، بيروت: دار العلم للملايين .
٧. منظمة الصحة العالمية (٢٠١٤)، الوقاية من الانتحار: ضرورة عالمية، المكتب الاقليمي لشرق المتوسط .
- ياسر ثابت، شهقة اليائسين (٢٠١٢) . الانتحار في العالم العربي القاهرة: دار التنوير.

الرسائل الجامعية :

٨. عيبب غنية (١٩٩٤) . محاولة الانتحار لدى الإناث وعلاقتها بالعوامل النفسية و الأسرية، رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة الجزائر .
٩. يحيى اوي حسيبة (١٩٩٥) . المحاولة الانتحارية، دراسة نفسية، رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة الجزائر .

الجرائد

١٠. ب. جعفر (٢٠٠٠) "الانتحار يأخذ أبعاد خطيرة"، جريدة اليومى الخبر، ٩ جويلية.
١٠. ع. ق. م، "١٥ حالة انتحار منذ بداية السنة في ولاية سعيدة" جريدة الخبر اليومى، ١٩ أكتوبر ٢٠٠٠.

Ouvrages :

11. BENSMAIL B., La psychiatrie aujourd'hui, OPU, Alger, 1994.
12. DURKHEIM Emile, Le suicide: étude sociologique, 10^e édition, PUF, Paris, 1986.
13. Maynard .l, le suicide ,étude normale et métaphysique ,puf ,paris.1985.

Reuves et périodiques

14. ANDRIES et AL., «Suicide et conduite a risque », in **Revue pratique de psychologie de la vie sociale et d'hygiène mentale**, N°1, 42^e Année, Fédération des associations d'aide à la santé mentale, France, 1996.
15. APTER Alan and al., «Suicidal behavior, Depression and conduct disorder in hospitalized adolescents », in **Academy Child Psycho-Adol.**, n°6, 19⁹⁸.
16. BENSMAIL B. et al, «Suicides et conduites suicidaires en milieu maghrebin», in **Revue de l'information psychiatrique**, vol.66, décembre, Privat, 1990.
17. BOISSON C., «La TS et après ? Mise en place d'un réseau d'accompagnement pour les jeunes suicidant de 15 à 25 ans», in **Revue pratique de psychologie de la vie sociale et d'hygiène mentale**, n°2, vol. 44, Fédération des associations d'aide à la santé mentale, France, 1998.
18. POMMERAU Xavier, «Suicide et tentative de suicide chez les adolescents», in **Revue pratique de psychologie de la vie sociale et d'hygiène mentale**, vol. 44, Fédération des associations d'aide à la santé mentale, France, 1998.

Journaux

- AÏT OUFELIA Mourad, « Benbitour interpellé sur les suicides», in **Liberté**, n° 2367, 24 juillet 2000

Abstract

Suicide attempt and suicide has become a certain phenomena through the academic and scientific studies done, whether they were local, national or international. Most of scientists have agreed that this phenomena is developing through time, and that is a result of sociological and psychological factors and changes that affect the social and individual structure. From this status, the two researchers try to detect suicide attempt and suicide through analyzing their concepts, trying to study their prevalence, and stop at their root causes (suicide attempt and suicide) through some scientific studies achieved, especially in Algeria. And those dealing with this, at hand phenomena and pointing out some of the factors that enable this phenomena to be studied.